# أعـطـوهم الحب كما يستحقون..

في ذات مرة وأنا أتمشى على شاطئ البحر فوجئت بشاب في مقتبل العمر يجلس على كرسي متحرك وبدا في وضع مثير للشفقة و قد مد يده في طلب المال ويده الأخرى على كتف الكرسي ممسكة بشدة على بعض الأوراق النقدية المهترئة ... تعجبت من وضعه و تساءلت في نفسي ما الذي أجبر هذا الشاب على الجلوس في مثل هذا الوضع البائس! أيعقل أن ليس له عائلة تصرف له مصروفا! و إن كان كذلك هل يعقل أنه لم يجد لنفسه مصدرا آخر للرزق ليتعفف من مذلة السؤال وهل يعقل أن يكون شاب طبيعي جدا و قد استخدم هذا الكرسي ليدر على نفسه الكثير من المال!!! أسئلة كثر جرتني بذاكرتي سريعا إلى الشاب المعوق الذي صادفته في شارع الاستقلال في اسطنبول الذي يبيع الورد متجولا بين ملايين البشر هناك ... ذلك الشاب سحر الكثيرين بعمله الدؤوب وإخلاصه يوزع السعادة بالورد المبتسم في يديه المفعم برائحة الحب والجمال و لم ينظر الناس له نظرة إشفاق بل عاملوه كفرد منهم .. وعلى الرغم من الزحام الشديد في شارع الاستقلال حيث تشعر أنك اذا ما وقفت سيسحبك الطوفان البشري معه ... إلا أن فضولي منعني من الزحف بعيدا عن بائع الورد الذي يستغرق تقريبا نصف دقيقة في تسليم الوردة للمشتري بسبب اعاقته و قد يستغرق نصف دقيقة أخرى في أخذ النقود ووضعها في جراب النقود .. جمال الورد الجوري في سلته وجمال العفة للبحث عن الرزق و جمال التعامل البشري الطبيعي مع كل الفئات ... شتان بين هذا و ذاك!!!

لايحرم الله الانسان كل شيء وهو ذو الفضل العظيم ... ومع ذلك يصاب كثير من الناس بالصدمة إذا ما فوجئوا بطفل معوق و لا عجب فالناس في فترة الحمل يتوقعون طفلا طبيعيا وإذا ما حدث العكس فهناك يحتاج المرء شيئا من الصبر ورباطة الجأش لابتلاع الوضع الجديد الغير متوقع ... و لكن الغرابة في مجتمعاتنا أن هناك أناسًا لا يزالون يخجلون من اخراج هذه الفئة من البيت بسبب نظرات الشفقة التي يستقبلونها من الآخرين أو بسبب العبارات التي يشعر الناس أنها تقلل من شأنهم و النصائح المبتذلة التي يتوقعون أنها لا طائل منها..

حكت لي إحدى الصديقات أنها بعد زواجها فوجئت أن لزوجها أختا معوقة لا يدري عنها الجيران ولا الناس في المجتمع حولهم لأنها لا تخرج من البيت و لا تشارك في المناسبات الاجتماعية لأن ذلك قد يقلل من صورة أمها أمام المجتمع المخملي الذي فردت ريش الطاووس فيه بجمالها ومالها و لا تريد من فتاتها أن تهز ذلك العرش الملكي بظهورها أمام الملأ... ألا يشبه هذا الحال وأد البنت حية؟؟؟ معوقة و لها من الألم النفسي ما يكفيها و تحرمها الحب و الحياة!!! و لا تمنحها نافذة لترى من خلالها العالم ... سلبتها جمال التواصل مع الآخرين واستكشاف جمال الحياة التي تستحق هي أن تتذوقه لأنها كائن بشري منحه الله الحياة و حرمتها أمها رحيق السعادة بالتأمل في جمال الخلق و سحر الحياة خلف جدران منزلها ...و مثل هذه المرأة كثيرون ممن يرسلون أولادهم وأطفالهم لمدارس داخلية ليتخلصوا من مسؤولية الاعتناء بهم ...

أخبرتني أختي التي تخصصت في مجال رياض الأطفال و التربية الخاصة أنها صدمت من تعامل بعض المعلمين مع الطلاب في احدى المدارس الفكرية في مسقط .. تقول لي لا تعامل تلك الفئة الحساسة كما ينبغي و قد شهدت بنفسها مواقف كثيرة تجعلك تتجرع الغصص و تبكي حسرة على الأمانة التي وضعت بين أيدي من لا يعرف قيمتها .. حكت لي قصة الشاب ذي الستة عشر عاما الذي عوقب في الطابور الصباح بالسخرية منه و الاستهزاء منه أمام الجميع فما كان من الشاب الا أن استشاط غضبا و في حركة تلقائية وردة فعل طبيعية وجد الشاب نفسه خلف أسوار المدرسة باحثا عن سيارة تاكسي تقله إلى حيث تقيم عائلته في مدينة تبعد عن





مسقط حوالي ١٠٠ كم. أصيب مدير المدرسة و طاقم العمل معه بالهلع من الموقف جعلهم يبحثون عن الشاب في كل مكان قبل أن يصل إلى أهله ...و الصدمة أن بعدد قليل من الساعات يتصل الوالد بالمدرسة ليخبرهم أن ولده معه في البيت و عليه أن لا يقلقوا لأنه سيعيد لهم الفتى غدا صباحا... من المسؤول!!!

وهذا موقف من مواقف كثر تجردت من صفات الحب و القيم الأخلاقية التي سردتها لي مع هكذا فئة من الناس ..

مدارس داخلية على مستوى الوطن العربي تستقبل هذه الفئة من الأطفال الذين يتركونهم أهلهم و لم يعودوا ليسألوا عنهم بل الكارثة أن هناك من ماتوا و لم يعترف بهم حتى بعد مماتهم... هل القلوب من حجر؟

كل تلك المواقف تجعلني أبكي حسرة عندما أتذكر الطفل المشوه خلقيا على متن العبارة التي أقلّتنا من اسطنبول في رحلة جميلة إلى جزيرة الأميرات .. عائلة الطفل المبتسمة و أمه التي تفيض مَرَحا وهي تحمله بين يديها ليشاركهم لذة الرحلة و متعة تفاصيلها.. هي تخبره جيدا أنك جزء مهم و لا نستطيع الاستغناء عنك ... أنت جميل كما أنت و نحن نحبك لأنك تستحق .. يضحكون و يمرحون و لا أحد يمعن النظر في تصرفاتهم إلا أنا... نعم أنا لأنني لم أتعود على هكذا مشهد أخاّذ في بلادي ..

هل تذكرون الطفل القطري غانم؟؟ الابتسامة الساحرة التي سلبت الألباب وأسرت القلوب.. طفل بلا أقدام يمشي بيديه و يقضي وقته وهو يعمل بيديه و يمرح و يقوم بأنشطة مختلفة بما يتناسب مع اعاقته.. شخصية أسطورية جعلت من العالم البشري يندب حظ نفسه أن لا يملك طاقة وجمالا بجمال تلك الشخصية الصغيرة في السن العظيمة في الأداء... يتحدث غانم مع أناس كشاب تعود على فنون الحوار الجميل.. يجعلك تستشعر بالنعم التي تغرق فيها و أنت لا تشعر... و الاعظم من غانم والده الجميلان اللذين رفضا فكرة اجهاض غانم لعلمهما بوضعه عندما كان جنينا يشارك أخاه التوأم حيزا بسيطا في رحم أمه... أصر والداه أن يتقبّلا غانم كما هو لأنه يستحق الحب و الحياة... و لأنه أخذ من الحب كما ينبغي برز للعالم كأسطورة.. يتحدث غانم كثيرا عن والديه و عن فضلهما في ما آل اليه لا سيما أمه و يكرر كثيرا مقولة أمه المتفائلة (انظر الى ما أعطاك الله واترك خلاف ذلك فأنت لديك الكثير لتعمله) جعلته يعشق الحياة بكل تفاصيلها .. لم ترض هذه المرأة الرائعة أن تبقى حياة غانم كئيبة مدفونة فالبيت... اعطته الحب كما يستحق و أعطاها ابتسامة ترتوي من رحيق جمالها...

حدثتني احدى الصديقات أيضا أن قريبتها التي أنجبت طفلها الثاني وفوجئت أمها و خالتها أن الطفل مصاب بمتلازمة داون فخشين اخبارها خوفا من وقع الصدمة.. وما ان علمت بالخبر حتى استقبلته بابتسامة مغلفة بالرضا... بل تفاجأن من ردة فعلها و هي تحضر لاستقباله بتوزيع الحلوى للأهل و في مقر عملها وتوزيع الهدايا و الاحتفال بمقدمه إلى هذه الدنيا... هي تعطيه الحب كما يستحق الذي سيرجع لها يوما ما لأنها تستحق ...

بينما أكتب في هذا الموضوع خطرت في بالي أخت لصديقتي مصابة بمتلازمة داون و قد رأيتها في حفل زفاف صديقتي و في مناسبة أخرى في تجمع للصديقات ..

أكثر ما شدني في هذه الفتاة علاقاتها الاجتماعية مع الناس.. رأيتها في حفل زفاف صديقتي و هي مبتسمة جميلة مع أمها تطير معها كالفراشة أينما حلت و تطلب منها أمها أن تسلم على الضيوف... شعرت أن الأم تمضي مع صديقتها وتهتم بمظهرها.. و بتفاصيلها ..تخبرها أنها أجمل المخلوقات لديها و يجب أن تظهر كما ينبغي ... و في المناسبتين شعرت أن بين الام و ابنتها علاقة صداقة متينة تجعلك ترى كل ذلك في ابتسامة الفتاة الجذابة التي أترفتها والدتها بحب جميل وصداقة متينة ..

عندما سألت صديقتي عنها أول شيء قالته لي أنها « فاكهة البيت « البيت لا يبدو سعيدا بدونها .. كل شيء يبدو حزينا بدونها ... ولكن لم تترك البيت؟ لأنها تذهب مع أزواج اخوتها لتقضي معهم اياما في بيوتهم المختلفة .. لأنهم يحبونها وهي تشعر بذلك الحب المتدفق حولها وهي توزع من قلبها باقات حب لمن تشاء ..

تعطيها أمها مهمات تقوم بها في البيت وهي تعمل باخلاص و تفان و تؤدي عملها بشكل متقن .. هذه الفتاة وصلت مرحلة من الاجتماعية عندما ترى أناس أجانب تبادرهم بالتحية باللغة الانجليزية .. ذلك نتاج كل الحب الذي استحقته ماجدة و تستحق والدتها أضعافه وهي ترتشفه في نظرات طفلتها الوديعة...

تلك هبات الرحمن وودائعه ... والأجدر بتلك الأمانات أن تصان... تلك الهدايا الربانية تستحق كل الحب ..

**وفاء الرواحي**